الآليات اللغوية للحجاج في شعر المشركين

الباحث/ عبد الرحيم عبد الموجود محمد مهدي

الملخص:

اللغة تحمل مجموعة من الآليات اللغوية يستخدمها المتكلم، لتحقيق أهدافه وغايته الحجاجية والإقناعية، ونظرية الحجاج "انبثقت من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسورل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار أوستين وآرائه بالخصوص، وامتزج في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج".([1])

والحجج اللغوية لها سمات، منها: أنها سياقية، نسبية، قابلة للإبطال؛ كما تمثل الروابط والعوامل الحجاجية دورًا مهمًا وفعالًا في الخطابات الحجاجية بحكم مكوناتها اللغوية المختلفة في الجملة، ويميز ديكرو بين نوعين من مكونات الوظيفة الحجاجية، الأول: الروابط الحجاجية، والثاني: العوامل الحجاجية.

وتتمثل الآليات اللغوية للحجاج في مجموعة من التقنيات، منها: التكرار، والأساليب الإنشائية الطلبية، وكذلك روابط الوصل والفصل؛ فالحجاج يتم وفق مجموعة من العناصر والأدوات اللغوية التي تساعد على توجيه المخاطب من خلال فهمه للقول الحجاجي، واللغة من أهم الآليات التي يقوم عليها الحجاج؛ لأنها تحمل أساليب ووسائل إقناعية.

1) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص ١٥.

Summary:

The language bears, he used it in his argumentative and realistic goals and objectives, and the argumentative theory "emerged from within the theory of linguistic actions that laid the foundations of Austin and Sorel, and Dekro built Austin's ideas and opinions in particular, and mixed in this in addition to two languages: the actual act and the act of the arguments."

Linguistic arguments have features, including: they are contextual, relative, and falsifiable; Argumentative relations and factors constitute an important and effective role in the sentence, and Decro distinguishes between argumentative components and factors, the first: argumentative factors, and the second: argumentative factors.

بنية التكرار:

يُعد التكرار من الأساليب الحجاجية التي يستخدمها الشاعر أو المتكلم في خطابه؛ من أجل التأكيد على قضية أو قول ما، وهو ظاهرة لغوية، تواردت في نصوص اللغة منذ العصر الجاهلي حتى الآن.

الأساليب الإنشائية الطلبية:

إن للأساليب الإنشائية، والطلبية منها تحديدًا دورًا بالغ الأهمية في الحجاج؛ فهي تساعد على توجيه الخطاب والأفكار والحجج بشكل متناسق ومرتب، كما تحمل دور إثارة المشاعر وجذب الانتباه، وتترك أثرًا ملحوظًا في الخطاب الحجاجي؛ فهي تحمل المتلقي على التفكير فيما عرضه المتكلم، والمحاولة في الإجابة والرد على الكلام المطروح، والأساليب الإنشائية منها: الاستفهام، والأمر، والنهي... إلخ.

فنجد الاستفهام من الآليات اللغوية التي يوظفها المتكلم في خطابه لأغراض حجاجية بما له من دور كبير؛ "فالسؤال يولد نقاشًا، ومن ثَمَّ حجاجًا، فإذا بالكلام والحجاج متصلان على نحو عميق، وطرح الأسئلة وسيلة مهمة من وسائل الإثارة ودفع الآخر إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح".[١]

وكذلك من الأساليب الإنشائية الطلبية الأمر والنهي؛ فهما يمثلان دورًا في عملية الإقناع والتأثير، ويقومان بدور حجاجي فعال، "فالأمر والنهي والتهديد وإثارة مشاعر الخوف كلها حجج؛ لأنها دون أن تحدد آليًا الموقف توفر الأسباب الداعية لاختيار هذا الموقف".[٢]

في هذا البحث يقوم الباحث بتحليل الآليات والروابط اللغوية الحجاجية في شعر المشركين، وكيف أسهمت تلك الروابط في تحقيق هدف التأثير والإقناع، ودورها في انسجام النص الشعري وبنائه.

ومن الشعراء الذين وظفوا الآليات اللغوية للحجاج في شعرهم عبد الله الزبعري حيث يقول:([٣])(قبل إسلامه).

حيّ الديارَ محا معارفَ رسمها طولُ البلى وتراوحُ الأحقابِ

فكأنما كتب اليهود رسومها إلا الكنيف ومعقد الأطنابِ

---

١) سامية الدردي، الحجاج في الشعر العربي، ص ١٤١.

٢) المرجع السابق، ص ١٤٠.

3) شعر عبد الله الزبعري، ص ٢٩.

قفرا كأنك لم تكـــــــــــن تلهو نعمـــــــة بـــــــأوانس أتـــــــراب

فـــاترك تـــذكر مـــا مـــضى مـــن عيـــشة ومحلـــــــة خلـــــــف المقـــــــام

واذكـــــر بـــــلاء معاشـــــر واشـــــكرهم ســـــاروا بـــــأجمعهم مـــــن الأنـــــصابِ

أنـــــصاب مكـــــة عامـــــدين ليثـــــرب فـــــي ذي غياطـــــل جحفـــــل جبجـــــابِ([1])

نلاحظ في الأبيات تكرار الأسلوب الإنشائي الطلبي المتمثل في الأمـــر: (حـــيّ- اذكر، اترك)؛ والأمر:" طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه، أو يوجه إليه الأمر، ســـواء أكـــان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا".(٢)

فالشاعر يسوق معطيات حجاجية لغوية متجهة في طريق واحد؛ لإبـــراز فكرتـــه وصولًا إلى النتيجة المرجوة، والأساليب هنا تعبر عن فخر الشاعر بقومه وعشيرته.

ثم ينتقل من الحديث عن فكرة الموت والفناء إلى الفخر بقوة جيش المشركين فـــي قوله: (حتى إذا وردوا المدينة)، ونلحظ هنا رابطين ساقهما الشاعر لتأكيـــد قـــوتهم؛ فقـــد وظف حتى الغائية وكذلك إذا الشرطية. والشرط من الأساليب التي تـــربط بـــين أجـــزاء الجمل ارتباطًا وثيقًا، وأسلوب الشرط له أهمية بالغة في تقديم الحجج وإبراز دورها فـــي تحقيق النتيجة، " فهو يُعد سمة جوهرية للنص الحجاجي؛ إذ يُسهم في بنـــاء الاســـتدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج، ويقود الخصم إلى المشاركة في صـــوغ جـــواب يدعم الأطروحة المقدمة بطريقة حتمية".(٣)

وقد أتى الشاعر بالأداة (إذا)، وهي تفيد المستقبل وتحمل دلالة الشرط، وقد وثقـــت العلاقة بين الحجة والنتيجة، وجعلت الأول سببًا لتحقيق الثـــاني؛ فهـــو يوظفهـــا لتأكيـــد شجاعة قومه، وأنهم عندما يأتون إلى أرض القتال يلبسون كل مـــا هـــو مـــستخدم فـــي الحرب.

ونلاحظ في البيت الأخير قوله: (لولا الخنادق)، ولولا حرف امتنـــاع وهـــو مـــن أدوات الشرط، وقد استخدمه الشاعر للربط بين الحجة التي كانت سببًا في نجاة المسلمين وبين النتيجة التي كانت تصيبهم؛ فالخنادق هي التي أنجت المسلمين من المـــوت، ولـــولا

1) أي كثير الضجة وضخم الجنبين.

2) عبدالعزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٧٥.

3) إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني، سورة الأنبياء أنموذجا، ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، ص١٤١.

الخنادق لكان قتلى المسلمين غذاء للطيور، وقد ساق الشاعر أسلوب الشرط لدعم حجته والتعبير عن قوة جيش المشركين.

ويقول ابن الزبعرى(قبل إسلامه):(١) (بحر الطويل)

قتلنا ابن حجش فاغتبطنا بقتله وحمزة في فرسانه وابن قوقلِ

وأفلتنا منهم رجالًا فأسرعوا فليتهم عاجوا ولم نتعجلِ

أقاموا لنا حتى تعض سيوفنا سراتهم وكلهم غير عزلِ

وحتى يكون القتل فينا وفيهم ويلقوا صبوحًا شرّه غير منجلي

تحمل الأبيات فخرًا حجاجيا يتحدث فيه الشاعر عن انتصاره وانتصار قومه، وما حققوه من نصر على المسلمين؛ فنجد في البيت الأول مقدمة تتبعها نتيجة، وقد ربط بينهما برابط حجاجي وهو (الفاء)؛ والفاء من الروابط الحجاجية التي تفيد ترتيب الحجج وربطها بالنتائج في علاقة تتابعية. هذا الرابط الحجاجي استخدمه الشاعر في فخره؛ ليربط بين نتيجة وسببها، فلدينا نتيجة وهي الاغتباط والفرح، تلك النتيجة حصل عليها الشاعر لسبب يسبقها وهو قتل ابن حجش، وهو عبد الله ابن حجش الذي استُشهد يوم أحد.

إن قتل ابن حجش(٢) وكذلك حمزة بن عبد المطلب جعل الشاعر يفتخر بذلك النصر العظيم، وبالنسبة إليه قد قتلوا أقوى الفرسان؛ فحمزة كان يُلقب بأسد الله، وهذا القتل هو السبب في فرحة الشاعر، وإقامة الحجة على خصومه من المسلمين بدافع إظهار القوة والنصر. وما نلاحظه أن الشاعر وجه استدلالًا مباشرًا نحو النتيجة التي يريدها، وهذا الاستدلال التتابعي الذي استخدمه الشاعر بواسطة الفاء دعّم حجته وزادها تأثيرًا وإقناعًا.

يستمر الشاعر بشكل حواري في تلك الأبيات، فيخبرنا بطريقة الفخر بأن كثيرًا من فرسان المسلمين استطاعوا النجاة منهم، الأمر الذي جعل الشاعر يتمنى بقاءهم حتى يقضوا عليهم مثل سابقيهم. ونجد رابطًا آخر من الروابط الحجاجية وظفه الشاعر في تلك الأبيات، وهو (حتى) في قوله: (حتى تعض سيوفنا)، وهذا الرابط

1) يحيى الجبوري، شعر عبدالله الزبعري، ص ٤٣.

2) هو عبدالله بن جحش بن مرة بن خزيمة، أمه أميمة بنت عبدالمطلب، عمة رسول الله، وقد دُفن مع الصحبي حمزة عم الرسول في قبر واحد. ابن سيد الناس، منح المدح، ص ١٤٨.

ويقول(إسلامه):(١)

ألا ذرفـــت مـــن مقلتيـــك دمـــوع وقد بـــان مـــن حبـــل الـــشباب قُطـــوعُ

وشط من تهوى المـــزار وفرّقـــــت نـــــوى الحـــــي دار بالحبيـــــب

وليس لمـــا ولّـــى علـــى ذي حـــراري وإن طـــال تـــذراف الـــدموع رجـــوعُ

هذه الأبيات قالها ابن الزبعري يوم أحد، يفتخر بانتـصارهم، ويعيـر المـسلمين ويهجوهم، ويسوق في ذلك جملة من الحجج اللغوية، وأول ما يطالعنا في الأبيات أسلوب الاستفهام في قوله: (ألا)، والاستفهام من أدوات الحجاج التـي تـستعدي مـشاركة مـن المتلقي، والتفكير في الجواب، ما يعمل على إثارة الذهن وجلـب الانتبـاه، والاسـتفهام الحجاجي يعرفه ديكرو بأنه "نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقًـا من قيمته الحجاجية".(٢)

وقد ساق الشاعر في الأبيات الاستفهام بشكل فيه سخرية؛ فهو يستهزأ بالمـسلمين وهزيمتهم في أحد، ويحثهم على البكاء على موتاهم. وإن الشاعر اتخـذ مـن الاسـتفهام حجة على خصمه، ثم يجيب عن السؤال بشكل تهكمي فيه تقنيط لخـصمه فـي قولـه: (وليس لما ولى رجوع)، فيرد الشاعر مستخدمًا أسلوب النفي؛ فهو يقول إنه مهما بكيـتم فلن يعود قتلاكم مرة أخرى.

يسوق الشاعر أسلوب الاستفهام بغرض التسوية؛ فسواء أبكيتم أم لا فلا نتيجة من البكاء؛ فالنتيجة واحدة، وهي أنه لن يعود قتلاكم مهما حزنتم وبكت عيونكم، وهذه حجـة لنتيجة ضمنية تتمثل في سؤال الشاعر: هل بكيت وماذا يجدي البكاء. وعليه فإن الشاعر استطاع أن يقنع خصمه من خلال استمالته بأسلوب الاستفهام في تدرج حجـاجي داخـل النص، والنتيجة هنا التحسر على قتلى أحد من المسلمين.

إلى أن يقول في القصيدة نفسها:

ولـــولا علـــو الـــشعب غـــادرون أحمـــدا ولكـــن عـــلا والـــسمهري شـــروعُ

نلحظ في البيت الرابط اللغوي (لكن) الذي يفيد الاستدراك، وهو يـستخدم للـربط بين حجتين، وتكون الثانية هي الأقوى، فتأخذ حكم الثبوت لهـا، وقـد وظفهـا الـشاعر

1) شعر عبد الله الزبعري، ص ٣٧.

2) طه أحمد حمامة: الروابط الحجاجية في الخطاب الشعري عند ابن رشيق، ص ٤٥٨.

استدراكًا لكلامه؛ كي يوضح المهارة الحربية التي يتصفون بها، والحجة الأولى ارتفاع الشعب، أما الثانية: قوتهم وحملهم السيوف.

ويقول ابن الزبعرى أيضًا (١): (من الطويل)

فلما رأونا خالطتهم مهابة وعاينهم هناك أمر فظيع

وودوا لوو أنَّ الأرض ينشق ظهرها ظهرها بهم وصبورُ القوم ثم جزوعُ

وقد عُريت بيض كأن وميضها حريق ترقَّى في الآباء سريعُ

بأيماننا نعلو بها كل هامة ومنها سمامٌ للعدو ذريعُ

فغادرون قتلى الأوس عاصبة بهم ضباع وطير يعتفين وقوعُ

هذه الأبيات من شعر الفخر لابن الزبعري يفتخر فيها بانتصارهم يوم أحد وهزيمة المسلمين، ويتحدث فيها عن هيبة جيش المشركين وقوته في مرحلة الكرّ الثانية، حينما فاجئوا المسلمين بعد انتهاء المعركة، ويفتخر بأن المسلمين أصابهم الخوف الشديد عندما رأوا جيش المشركين يسدد عليهم ضربات السهام والنبال في قوله: (خالطتهم مهابة، وعاينهم هناك أمر عظيم)، وقد استخدم رابطًا حجاجيا وهو واو العطف،" يستعمل" الواو" "حجاجيا وذلك بترتيب للحجج ووصل بعضها، ببعض بل وتقوى كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا، على عكس السلم الحجاجي"(٢)، فحجته أن الخوف والذعر أصابا جيش المسلمين، وذلك مرده إلى تلك القوة التي تميزوا بها في التسديد والمفاجأة.

ويعتمد في حججه على بعض الروابط الحجاجية التي تسهم في دعم تلك الحجج وتقويتها؛ فنجده يوظف حرف (الفاء) في قوله: (فلما)، والفاء من الروابط الحجاجية التي لها دورٌ في ترتيب الحجج وتنسيقها، كذلك لها دور في ربط المقدمات بالنتائج؛ فهو يساعد على تمكين بنية حجاجية قوية تقوم على علاقة التتابع التي تُعد من أكثر العلاقات دورًا وتأثيرًا في المتلقي؛ فالتتابع يزيد الحجج منطقًا وإقناعًا، لأنه يربط بين الحجج وبعضها.

1) يحيى الجبوري، شعر عبدالله الزبعري، ص ٣٨.

2) عبد الوهاب الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ١٩٩٨، ص ٤٧٢.

فالذعر الذي أصاب المسلمين نتج عن رؤيتهم للمشركين؛ فقد ربط الشاعر بين رؤية المسلمين لهم وبين خوفهم وذعرهم؛ النتيجة ترتبت على المقدمة. ثم يكمل حجاجه في قوله: (عاينهم أمرٌ هناك فظيع)، فلم يكتف الشاعر بذكر خوف المسلمين، بل ذكر أن ثمة أمرًا عظيمًا قد أصابهم، معتمدًا على اسم الإشارة للبعيد (هناك)، ولا شك في أن له تأثيرًا في تلك الحجة، فهو يشير بذلك إلى مكان الحرب والقتال الذي حدث فيه هذا الأمر.

يستمر الشاعر في فخره وحججه المتتابعة، ويزداد تدرجًا للحجج؛ فنجده يقول: (وودوا لو أن ظهر الأرض ينشق) فهو يقدم حجة مدعمة لغويًا؛ فقد بلغ الأمر بالمسلمين من هول الموقف والخوف من الهزيمة التي أصابتهم أنهم يتمنون أن تنشق الأرض لكي يجدوا ملجأً ومهربًا من هذا الأمر العظيم، بل ويؤكد أن أكثرهم صبرًا أصبح جزوعًا في تلك اللحظة.

ثم يعلو بسلمه الحجاجي وصولًا إلى افتخاره بحملهم السيوف التي تقطع الرؤوس في قوله: (بأيماننا نعلو كل هامة)؛ أي بالسيوف التي في أيادينا اليمنى نعلو كل الرؤوس ونقطعها. وهنا كناية عن المهارة في القتال، وكناية عن قطع الرؤوس في الحرب، وكذلك خروج السهام بشدة على المسلمين، الأمر الذي جعلهم يتركون قتلى المسلمين في أرض المعركة، وكثرة السهام الموجهة إلى عدوهم، وكذلك سيوفهم القاطعة نتج عنها أنهم تركوا قتلى الأوس في كل مكان.

ويستمر الشاعر في تقديم حججه، فيقول في القصيدة نفسها:

ولولا علوّ الشَّعب غادرون أحمدا ولكن علا والسمهري شروعُ

كما غادرت في الكرّ حمزة ثاويًا وفي صدره ماضي الشَّباةِ وقيعُ

ونعمان قد غادرت تحت لوائه على لحمه طيرٌ يجفن وقوعُ

بأُحدٍ وأرماح الكماة يردنهم كما غال أشطان الدلاء نزوعُ

في تلك المقطوعة يتحدث عن قتلى المسلمين، كذلك عن العناية التي نجا بها النبي –صلى الله عليه وسلم– ويذكر من قتلى المسلمين: حمزة بن عبد المطلب، والنعمان بن مالك، كذلك كادوا يقتلون النبي –صلى الله عليه وسلم– ويفتخر بما أحرزوه من نصر

على المسلمين. والشاعر اعتمد على حجاج الفخر في تلك الأبيات بما عرضه من مقدمات.

وتقول هند بنت عتبة(قبل إسلامها):(١)

ويهًا بني عبد الدار ويهًا حماة الأدبار

ضربًا بكل بتَّار ضربًا بكل بتَّار

تبدأ الشاعرة بآلية لغوية متمثلة في اسم الفعل (وي)، ويقول ابن منظور: "ويه إغراء، ومنهم من ينون فيقول: ويهًا، وإذا أغريته بالشيء قلت: ويهًا، وهو تحريض. وقال الرازي: (ويهًا) اسم لقولك: انزجر أو أغر".(٢) والشاعرة اعتمدت على الإنشائي الطلبي المتمثل في اسم الفعل الذي يحمل معنى الحض والحث، فقد ساقت تلك الآلية بسياق حجاجي؛ لتحريض المشركين ضد المسلمين وتشجيعهم على القتال.

اعتمدت كذلك على تقنية التكرار؛ فقد كررت الطلب مرتين؛ للتأكيد على التحريض ضد المسلمين، كما أن مبدأ التكرر" سلم به معظم النقاد المحدثون وجعلوه جوهر الخطاب الشعري، ويكون على مستوى الأصوات وعلى مستوى الوزن والقافية وعلى مستوى التركيب النحوي وفي المعنى أيضا ".(٣)

فهي قبل إسلامها كانت من أشد أعداء المسلمين، وكانت تحرض على المسلمين، وقد فرحت فرحًا شديدًا بمقتل حمزة –بن عبد المطلب– فهي تسوق كل المعطيات الحجاجية من أجل قضيتها، وهي التحريض على قتال المسلمين. كذلك نلاحظ توظيفها المصدر النائب عن المفعول المطلق في قولها: (ضربًا)؛ أي اضربوا المسلمين ضربًا، وربطت بحرف الجر (الباء) الذي جاء بمعنى الوسيلة؛ أي ضربوا ضربًا شديدًا بسيوفكم القاطعة.

إن الأبيات تحمل قضية أساسية، وهي (التحريض على قتال المسلمين)، لذلك نجد الشاعرة ساقت كل وسائلها الحجاجية؛ من أجل دعم تلك القضية وتأكيدها، فدفعت بـ (اسم فعل ويهًا)، والتكرار (ويهًا ويهًا)، والمصدر النائب عن المفعول المطلق ضربًا)، ورابط (حرف الجر الباء).

1) ابن هشام السيرة النبوية، ص ٣١.

2) أيمن عبد الرازق: معجم أسماء الأفعال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط ١، ٢٠٠٦، ص ١٥٠.

3) محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، ص ٢٧.

وتقول:(١)

إن تُقبلـــــــــوا نعـــــــــانق ونفـــــــــــرش النمـــــــــــارق

أو تـــــــــــدبروا نفـــــــــارق فـــــــــراق غيـــــــــر وامـــــــــق

يظهر من البيتين السابقين بشكل واضح توظيف أسلوب الشرط في الأبيات، وكذلك رابط الفصل (أو)؛ فأسلوب الشرط وظفته الشاعرة من أجل غرض حجاجي، وهو إظهار القوة التي يتحلى بها جيش المشركين، فإن حاول المسلمون الإقبال على الحرب فالمشركون مستعدون للقتال، ويظهر ذلك في قولها (نعانق)، فحرف الشرط ربط بين الحجة والنتيجة؛ فالقتال مترتب على الإقبال في قولها: (أقبلتم نقاتل). وتحمل حديثها باستهزاء وسخرية في قولها: (نفرش النمارق)؛ أي نفرش لكم الوسائد كأنها في ضيافتهم.

ثم تدفع برابط الفصل الذي يفيد التخيير؛ فهي بجيشها وقومها أمام أمرين، الأول: يتمثل في إقبال المسلمين على الحرب وهم مستعدون لذلك أشد الاستعداد وفي استقبالهم، والثاني: يولوهم الإدبار، لا فرق لديهم يدبرون ويفترقون فراقًا ليس فيه حب، فراق تتضمنه العداوة بين الطرفين؛ فقد استخدمت الشاعرة ذلك الرابط للربط بين الحجتين والتخيير بينهما؛ إما الإقبال أو الإدبار، وتلك المعطيات التي ساقتها الشاعرة تؤدي إلى نتيجة واحدة، وهي قوتهم في الحرب، وشجاعتهم، وعدم خوفهم من المسلمين.

وتقول أيضًا:(٢)

شَـــفيتُ مـــن حمـــزة نفـــسي بأحـــد حتـــى بقـــرتُ بطنـــه عـــن الكبـــد

يحمل البيت أداة من أدوات السلم الحجاجي المتمثل في (حتى)؛ فهي تؤدي دورًا مهما في السلم الحجاجي وترتيب الحجج على حسب السياق الذي ترد فيه، وهي تفيد انتهاء الغاية، كما تربط بين الحجة والنتيجة، والنتيجة التي تأتي بعدها تكون أقوى من سابقتها؛ فهي تتحدث عن قتل حمزة –رضي الله عنه– وتمثيلها بجثته الشريفة، وقد شفت الحقد والكره الذي تحمله بداخلها يوم قتله في أحد، وأنها لم تكتف بقتله، بل بقرت بطنه حتى أخرجت كبده، والنتيجة هي أنها تشفت من حمزة. والحجة الأولى: هي قتل حمزة، ثم الرابط (حتى)، والحجة الثانية: –وهي الأقوى– بقر بطنه وإخراج الكبد.

1) ابن هشام السيرة النبوية، ص ٣١.

2) ابن هشام السيرة النبوية، ص ٣١.

ويقول هُبيرة بن وهب يوم أحد:(١)

مـــا بـــال هـــم عميـــد بـــات يطرقنـــي بـــالود مـــن هنـــد إذ تعـــدو عواديهـــا

مهلًـــا فـــلا تعـــذليني إن مـــن خُلُقـــي ما قـــد علمـــتِ ومـــا إن لـــستِ أخفيهـــا

مثل البيتان بنية حجاجية جاءت من خلال الآليات اللغوية التي وظفهـــا الـــشاعر؛ فنجد في البيت الأول استهلاله بأسلوب الاستفهام، والاستفهام بنية طلبية، تتجه بالخطـــاب من السطحية إلى العمق، ولذلك يُعد من الوسائل اللغوية للحجاج؛ لأن طرح الأسئلة فـــي النص أو الخطاب بشكل عام يثير ذهن المتلقي، ويلزمه باتخاذ موقف ما تجـــاه الطـــاب الموجه، والدليل على أهمية الحجاج الاستفهامي وروده كثيرًا في الخطابات والنصوص.

وكل خطاب يستدعي سؤالًا يلزم المتلقي بالرد والجواب، ومن ثم حجاجًا؛ فالسؤال والجواب هما الأساس الذي قامت عليه نظرية المساءلة. والشاعر فـــي الأبيـــات يطـــرح السؤال كحجة يسوقها؛ فهو يتحدث عن معركة أحد وما أصاب المسلمين مـــن هزيمـــة، وانتصار لهم. والسؤال هنا يجعل المتلقي يبني الموقف والجواب الذي يريده المتكلم؛ فهو يثير قضية في ذهن المتلقي تقوم على المعرفة المشتركة بينهما، ونلاحظ أن الاستفهام لـــم يخرج عن غرض البنية الحجاجية للأبيات، وهي الحجاج لنصرهم على المسلمين وثباتـــه في الحرب، وقد جاءت عن طريق الحجج المؤسسة لبنية الواقع.

ثم نجده يستخدم أسلوب الأمر في البيت الذي بعده في قوله: (مهلًا)، والأمر كذلك بنية طلبية، وتظهر حجاجية الأمر بدءًا من دلالته اللغوية، وهي طلب فعل الشيء علـــى وجه الاستعلاء، وهو بذلك يحمل المتلقي على الإذعان والقبول. والـــشاعر يطلـــب مـــن زوجته أن تتمهل؛ فهو يحمل أمرًا عظيما وفرحة كبيرة بنصرهم على المـــسلمين، وقـــد ساق الشاعر تلك الآليات اللغوية الحجاجية من أجل دعم قضيته، وهي انتـــصارهم يـــوم أحد، وقد أسهمت تلك الآليات في البنية الأساسية للنص الشعري الحجاجي، وقد بـــدا أن الهدف الحجاجي كان موجودًا بطريقة واضحة في الأبيات، من خلال أســـلوبي التـــأثير والإقناع.

1) ابن هشام السيرة النبوية، ص ٩٢.

أخيرًا بعد إتمام تحليل الآليات اللغوية للحجاج في شعر المشركين نتوصل إلى: أن الشعراء المشركين قد وظفوا الآليات اللغوية في شعرهم بشكل كبير، وقد أثبتت فاعليتها في العملية الحجاجية؛ فقد كان لها عظيم الأثر في التأثير والإقناع من أجل قضاياهم.

ومن شعراء المشركين كذلك **كعب بن الأشرف(١)، وهو من شعراء اليهود، وقد عارض الإسلام وحاربه، وله أشعار كان يحرّض فيها على قتال المسلمين، وله في الفخر قوله:(٢) (بحر الرمل)**

رُبَّ خالٍ لي لو أبصرتَه سَبط المِشية أبَّاء أنفِ

ليّن الجانب في أقربه وعلى الأعداء سَمٌ كالذُعفِ

ولنا بئرٌ رواءُ جمةٌ من يردها بإناء يغترفِ

وليوثٌ حين يشتد الوغى غير أنكاس ولا ميلٍ كُشُفِ

تظهر عاطفة الفخر في الأبيات؛ فالشاعر يفخر بنسبه وخال له، ويقدم في ذلك حججًا تؤكد ذلك النسب الطيب وتلك الصفات الكريمة؛ فهو في مشيته معتدل مختالٌ يمشي مشية السبط، وهذا لا يحدث إلا مع طول الرجل واستوائه واعتداله، الفخر ساردًا الصفات الأخرى التي يتميز بها.

وقد دعم حجته باستخدام المتناقضات؛ فهو ليّن الجانب لكنه في الوقت نفسه كالسم على الأعداء، وهذا يوحي بالقوة؛ وهو حليم مع أنصاره وشيعته وعدو مع أعدائه. ثم يتحدث عن الكرم، وقد دفع له حجة بأن من يأتيهم بإناء يغترف ويرتوي، فتلك الحجة دفعها الشاعر ليصل إلى نتيجة الكرم، حتى يصل إلى وصفهم في الحرب بأنهم كالأسود الهاجمة.

1) كعب بن الأشرف الطائي اليهودي، أمه من بني النضير، وكان سيدا فيهم، بكى أهل بدر من المشركين، وشبب بنساء النبي ونساء الصحابة والمسلمين، فأمر رسول الله بقتله فقتلوه ليلًا. المزرُباني، معجم الشعراء، ت: فاروق سليم، ص٢٧٦.

2) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص ٢٨٣.

الخاتمة: في نهاية هذا البحث نخلص إلى :

استطاع الشعراء المشركون توظيف آليات الحجاج اللغوية المتنوعة في شعرهم، كالتكرار والأساليب الإنشائية الطلبية، وكذلك الروابط الحجاجية.

ثبت المصادر والمراجع:

١.إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر، دار الكتاب الجديد، ط ١، ٢٠٠٤.
٢.البداية والنهاية، ابن كثير، دار المعارف، د.ت.
٣.تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٤.
٤.تاريخ دمشق، الحافظ أبو القاسم الشافعي، ج ٤٩، دار الفكر، ط ١.
٥.التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للنشر، ٢٠٠٨.
٦.الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، جامعة الآداب والفنون، تونس.
٧.الحجاج في الخطابة النبوية، عبدالجليل الشعراوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢٠١٢.
٨.الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ٢٠١١.
٩.الحجاج في الشعر العربي، دراسات أدبية ونقدية، عصام خلف كامل، دار السندباد للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٥.
١٠.الحجاج في اللغة والبلاغة، ديكرو وبيرلمان أنموذجًا، أبو بكر العزاوي، مجلة فصول، مجلد (٢٦)، عدد (١٠١)، ٢٠١٧.
١١.الروابط الحجاجية في الخطاب الشعري، أحمد حمامة، علي بوزيرة، مجلة القارئ، المجلد ٤، العدد ٣، ٢٠٢١.
١٢.شعر عبد الله الزبعري، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٧٨.
١٣.شعراء العرب، عصر صدر الإسلام، يوسف عطا، مكتبة الأهلية، عمان، ط ٢، ٢٠٠٩.
١٤.فتوح الشام، الواقدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ط ١، ١٩٩٧.
١٥.في البلاغة العربية، علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.
١٦.في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية، محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٩.
١٧.اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، ط ١، ٢٠٠٦.